ملخص خطبة الجمعة

بتاريخ ١٥/٨/٢٠٢٥

يتابع حضرته الحديث عن هدم ثلاثة أصنام كبار:

سرية سعد بن زيد الأشهلي ﷺ في الرابع والعشرين من رمضان من العام الثامن الهجري إلى مِنى لهدم صنم مَناة. كان هذا الصنم قد نُصب على ساحل البحر الأحمر بالقرب من قُديد في مكان يُسمى مُشَلَّل، ولهذا السبب سميت هذه السرية بـــ"سرية مُشَلَّل" أيضًا، توجه سيدنا سعد مع أصحابه إلى الصنم، فهدموه، ثم عاد مع أصحابه إلى النبي ﷺ. وتنسب هذه المهمة أيضا إلى أبا سفيان بن حرب وكذلك إلى سيدنا علي ﷺ.

سرية خالد بن الوليد ﷺ في الخامس والعشرين من رمضان المبارك من العام الثامن الهجري، حيث بعث النبي ﷺ سرية مكونة من ثلاثين فردًا بقيادة خالد بن الوليد ﷺ إلى نخلة، لهدم الصنم المشهور لقريش المسمى العُزَّى، ففعل.

سرية عمرو بن العاص ﷺ **إلى سُواع**، في رمضان من العام الثامن بعد الهجرة. فقد بعث النبي ﷺ عمرو بن العاص ﷺ للقضاء على صنم سُواع وكان معه بعض الصحابة.

ذُكر هذا الصنم في القرآن الكريم مع أصنام أخرى، حيث ورد ذكره في سورة نوح: ﴿وَقَالُوْا لَا تَذَرُنَّ اٰلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَّلَا سُوَاعًا وَّلَا يَغُوْثَ وَيَعُوْقَ وَنَسْرًا﴾

سرية خالد بن الوليد إلى بني جَذيمة في شوال العام الثامن الهجري.

فبعد فتح مكة حين رجع خالد بن الوليد إلى النبي ﷺ من مهمة هدم العُزَّى فبعثه إلى بني جَذيمة، فأمر النبي ﷺ سيدنا خالدا أن يدعوهم إلى الإسلام ونهاه عن القتال، فسار سيدنا خالد بن الوليد في ثلاثمائة وخمسين رجلا من المهاجرين والأنصار وبني سُليم. فلما وصل إليهم خالد وجدهم قد تسلحوا على شاكلة المهاجمين. فسألهم عن دينهم فقالوا، فَلَمْ يُحْسِنُوا أَنْ يَقُولُوا أَسْلَمْنَا فَجَعَلُوا يَقُولُونَ صَبَأْنَا صَبَأْنَا. فقال لهم سيدنا خالد فلماذا إذن قد حملتم السلاح؟ فقالوا: "هناك عداوة قديمة بيننا وبين إحدى قبائل العرب، فخشينا أن تكونوا أنتم تلك القبيلة المعادية، فحملنا السلاح".

مما جعل خالدًا غير مطمئن من قِبلهم. لذلك، أصدر في آخر الليل فتوى بأن قتل هؤلاء الأسرى هو الأنسب. فقتل بعض المسلمين أسراهم بناءً على ذلك، لكن المهاجرين والأنصار الذين كانوا مسلمين قدامى لم يتفقوا مع رأي خالد ﷺ فلم يقتلوا أسراهم. ذهب سيد الأنصار، أبو أُسيد الساعدي، إلى خالد بن الوليد ﷺ وأخبره أن هؤلاء مسلمون وأن قتلهم لا يجوز. كما لم يتفق عبد الله بن عمر ﷺ وسالم مولى أبي حذيفة ﷺ أيضا مع رأي خالد، ومنعا بقية رفاقهما من قتل أسراهم. فوصل أحد

أولئك الذين أطلق سراحهم إلى النبي ﷺ في المدينة وأطلعه على الوضع، فلما علم النبي ﷺ عن هذا حزن كثيرًا ورفع يديه فقال: اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ مَرَّتَيْنِ.

ثم أرسل ﷺ عليًّا إلى بني جَذيمة ليدي لهم[1] الدماء وللنظر في أمرهم كله.

ثُمّ رَجَعَ عليّ إِلَى رَسُولِ اللّه ﷺ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ وقال: أرجعت لَهُمْ حتى أصغر الأشياء وأتفهها وأعطيت لهم ما بَقِيَ مَعِي بَقِيّةٌ مِنْ الْمَالِ. فسُرّ النبي ﷺ كثيرًا وقَالَ لعلي: أَصَبْت وَأَحْسَنْت.

وكان النبي ﷺ قد رأى قبل هذه الواقعة رؤيا ذُكرت في السيرة لابن هشام، قَالَ رَسُولُ اللّه ﷺ رَأَيْتُ كَأَنّي لَقِمْت لُقْمَةً مِنْ حَيْسٍ (طعام يُصنع من خلط التمر والجبن والسمن) فَالْتَذَذْتُ طَعْمَهَا، فَاعْتَرَضَ فِي حَلْقِي مِنْهَا شَيْءٌ حِينَ ابْتَلَعْتهَا، فَأَدْخَلَ عَلِيّ يَدَهُ فَنَزَعَهُ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصّدّيقُ ﷺ يَا رَسُولَ اللّه ﷺ هَذِهِ سَرِيّةٌ مِنْ سَرَايَاك تَبْعَثُهَا، فَيَأْتِيك مِنْهَا بَعْضُ مَا تُحِبّ، وَيَكُونُ فِي بَعْضِهَا اعْتِرَاضٌ، فَتَبْعَثُ عَلِيًّا فَيُسَهّلُهُ أي يصحح ذلك الأمر.

وهكذا تحققت الرؤيا بما حدث في هذه السريّة.

ويتبين أن بعض محاربي بني سليم قتلوا أسراهم بدافع ثأرات سابقة بناءً على فتوى خالد بن الوليد، معتبرين إعلان إسلامهم نفاقًا. لكن المهاجرين والأنصار رفضوا هذه الفتوى لخالد وأطلقوا سراح أسراهم الذين أعلنوا إسلامهم. فإنهم أطلقوا سراحهم بدلا من قتلهم.

يقول الخطابي إن قول النبي ﷺ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ." يُظهر أن النبي ﷺ استاء من تسرّع خالد في اتخاذ القرار وعدم تحققه من مراد قولهم "صبأنا". كان على خالد أن يتأكد تمامًا من مرادهم بهذا اللفظ.

كان النبي ﷺ، عندما يرسل أي بعثة، يوصيهم بعدم التسرع في القتال، وأن يتحلّوا بالرفق واللين، وأن يدعوا إلى الإسلام قبل المواجهة، ويبينوا أحكامه لإتمام الحجة، وألا يهاجموا حيث يُسمع الأذان.

أما في هذه الواقعة، فقد وصلت رسالة من بني جذيمة بقبولهم الإسلام، فأُرسلت البعثة بنية الدعوة إلى الإسلام وليس القتال. فقد ورد في "الطبقات الكبرى" لابن سعد، أنه عندما وصل خالد بن الوليد إلى بني جذيمة، سألهم: "مَا أَنْتُمْ؟" فقالوا: "مُسْلِمُونَ، قَدْ صَلَّيْنَا وَصَدَّقْنَا بِمُحَمَّدٍ وَبَنَيْنَا الْمَسَاجِدَ فِي سَاحَاتِنَا وَأَذَّنَّا فِيهَا، فسألهم خالد: فَمَا بَالُ السِّلَاحِ عَلَيْكُمْ؟، فقالوا: إن بيننا وبين قوم من العرب عداوة، فخشينا أن تكونوا هم.

بعد هذا التوضيح المذكور، لم يكن القتال معهم جائزًا بأي حال من الأحوال. ويبدو أن شرارة العداوة القديمة قد اشتعلت أثناء إقامتهم في محيط يَلَمْلَمْ، مما أدى إلى نشوب قتال مع أحد الأطراف،

---

[1] ليدي لهم: يدفع لهم الديّة

ولم يُعفَ هؤلاء من القتل حتى بعد إعلانهم إسلامهم بكلمة "صبأنا"، وتعرض خالد بن الوليد للوم بصفته قائد الجيش.

الحقيقة أنه لا يمكن إيجاد أي عذر لخالد ﷺ، لأنه كان قد أُرسل للدعوة إلى الإسلام فقط، ولم يكن الإكراه جائزًا فيه بأي شكل. وقدم له معظم الصحابة ﷺ نصائح حسنة ولكنه لم يقبلها، مما أتاح الفرصة لبني سُليم لقتل أسراهم ليلًا.

وقد كتب السيد ولي الله شاه ﷺ في شرح صحيح البخاري ملاحظة زاخرة علما ومعرفة فقال: يتضح جيدًا أنه نية خالد بن الوليد ﷺ لم تكن سيئة بل صدر منه خطأ اجتهادي، وفي عجلة اتخذ قرارًا. وأن ما آلت إليه الأحداث بعد ذلك كانت مسؤوليته تقع عليه، بصفته قائد الجيش. لهذا السبب سخط النبي ﷺ من خالد ﷺ وأعلن براءته منه أمام الله. ولما حقق النبي ﷺ في القضية، تبين أن القتل وقع نتيجة سوء الفهم، لذلك قرر ﷺ دفع الدية بدلاً من القصاص. وبعد اعتذار خالد بن الوليد ﷺ وتوضيحاته، لم يعف النبي ﷺ فحسب عن خالد، فقد عفا النبي ﷺ عن خالد وعيّنه بعد أيام قليلة فقط قائدًا للطليعة وكتيبة الفرسان في الجيش المعدة لغزوة حنين.

سَرِيَّة يَلَمْلَم. أرسل النبي ﷺ هذه السرية تحت قيادة هشام بن العاص ﷺ، وضمت ٢٠٠ فرد إلى يَلَمْلَمْ الواقعة جنوب شرق مكة، على مسافة ليلتين بين مكة والطائف.

وسَرِيَّة عُرَنَة: وهي وادٍ يقع مقابل عرفات. يُذكر أن النبي ﷺ عيَّن خالد بن سعيد بن العاص ﷺ قائدا لجيش يضم ٣٠٠ فرد وأرسله إلى هذه المنطقة. لم يذكر أي مؤرخ تفاصيل أعمال هذا الجيش الذي قاده خالد بن سعيد بن العاص إلى عُرَنَة.

وهكذا يُعرف من هذا بوضوح سيرة النبي ﷺ أيضاً أنه لم يمارس القسوة في أية مناسبة، وأن الاتهام الذي يوجهه أعداء الإسلام بأنه ﷺ أمر بالقتل في الحروب باطل تماما. لقد أظهر النبي ﷺ استياءً شديداً حيثما حدث شيء ولو كان بالخطأ. وسيأتي ذكر باقي غزوات النبي ﷺ وسراياه في المستقبل بإذن الله.

******